(١٣)

وقال القائد العام غاضباً..

لا تلعبوا مع الجيش يا إخوان!

يـدرك الحفيد وربما للمـرة الأولى كم كانت جماعة الإخوان كاذبـة تعلن غير ما تبطن وحاولت تشـويه السيسـى بعد أن كشف نواياها السيئة.. ولكن المعركة لم تتوقف عند هذا الحد كما يقول الجد الذى يواصل حكايته فيقول: لقد رأت جماعة الإخوان أن السيسـى تمـرد عليهـا.. وكان يكفيه أن يصمت ويتمتع بمزايا منصبه كوزير للدفاع.. لكن الوقت قد فات وبات التحدى واضحا.

بالطبع لا، فقد رأوا فيه متمردا ومصرا على أن يعلن استقلاله عن جماعتهم، وكان يمكن له أن يصمت تماما، لكنه لم يترك أى فرصة ليؤكد تحديه للجماعة ولرئيسها إلا وانتهزها.

وهنا نشير إلى واقعه أخرى ليست دليلا على تحدى السيسى فقط للإخوان، ولكن على جرأته البالغه فى مواجهتهم، كانت الجماعة قد كثفت الشائعات التى تشير إلى أن محمد مرسـى على وشـك حسم قراره بإقالة الفريق عبد الفتاح السيسى، وبرغم أن الأمر لم يخرج عن كونه مجرد شـائعة فإن السيسـى تعامل معها بجدية شديدة، وكان الرد هذه المرة عبر مصدر عسكرى صرح لبعض الصحف دون أن يفصح عن هويته.

كان التصريح الأول: الجيش لن يسـمح بتكرار سـيناريو خروج المشير طنطاوى والفريق سامى عنان مع الفريق أول عبد الفتاح السيسى.

وكان التصريح الثانى: المساس بقادة القوات المسلحة خلال الفترة الراهنة سيكون أشبه بحالة انتحار للنظام السياسى القائم بأكمله.

لم تكن هذه تصريحات لمصدر عسـكرى عابر، بل كانت غضبة من السيسـى شخصيا، أعلـن فيها أن العبث مع الجيش وقيادات القوات المسـلحة ليس لـه رد إلا نهاية النظام القائـم.. لأنه بذلك يقدم على الانتحار، ولأن محمد مرسـى أدرك أن الغضبة حقيقية فقد تراجع على الفور، وخرج يمتدح الفريق السيسى ويثنى عليه.

وتتواصل جولات المعركة بين الطرفين، حيث تكمن السيسـى من نسـج علاقات مع مختلف شـرائح المجتمع، الناس البسطاء والفنانيين والمثقفين والسياسيين والشباب ونجح فى إعادة الثقة إلى نفوس هؤلاء فى قواتهم المسـلحة والمؤسسـة العسكرية، وللمرة الأولى يتم دعـوة مثقفين وفنانين وإعلاميين وصحفيـين لحضور مناورات القوات المسـلحة وتكررت الدعوات واللقاءات ما أدى إلى خلق البيئة والأرضية المناسـبة لما يسـعى إليه السيسى فى مواجهة مخططات الإخوان المسلمين بدأ السيسى يسحب البساط من تحت أقدام الجماعة

ورئيسها وصار اسمه على كل لسان وخرجت دعوات ومطالبات وحملات لتوكيل السيسى لإدارة شئون البلاد فى ظل عجز مرسى وغضب شعبى متصاعد من ساساته وقراراته وممارسات جماعته وحلفائها ومع النزيف الحاد المتوالى يومياً لشعبية محمد مرسى كانت شعبية السيسى تنمو وتتضاعف حتى صار هو المنقذ عند ملايين المصريين من مختلف الفئات والشرائح كما أحبط السيسى العديد من مؤامرات الإخوان على مصر وعلى الجيش ولم ينفذ قرار الرئيس محمد مرسى القائد الأعلى للقوات المسلحة بنزول القوات المسلحة إلى مدن القناة الثلاث تنفيذ لحظر التجول وحالة الطوارئ بل على العكس وجدنا المواطنين فى هذه المدن يلعبون الكرة مع جنود القوات المسلحة فى أوقات الحظر كما تصدى السيسى لمؤامرة الإخوان ودولة قطر على قناة السويس وأحبط محاولة الإخوان استنزاف الجيش فى سيناء.

ولم تستجب القوات المسلحة ممثلة فى الحرس الجمهورى لأوامر محمد مرسى بالتصدى القوى والعنيف للمظاهرات التى أحاطت بالقصر الجمهورى ولم تسقط قطرة دم واحدة لمتظاهر على يد القوات المسلحة ما أعاد الثقة الشعبية إليها.

المواجهات

وتوالت المواجهات غير المعلنة بين الإخوان المسلمين والسيسى قائد القوات المسلحة ولجأ محمد مرسى إلى الوقيعة بين السيسى وقيادات الجيش وحاول استمالة بعضهم وقد بدأ الأمر باتصالات هاتفية يتلقاها قادة بالجيش من رئيس ديوان رئيس الجمهورية السفير رفاعة الطهطاوى ينقل خلالها على لسان الرئيس تقديره لهم ولأدوارهم ويسرب إلى كل واحد منهم أن الرئيس ينوى إجراء تغييرات فى صفوف قادة القوات المسلحة وتغيير وزير الدفاع ورئيس الأركان ويوحى لكل واحد منهم أنه فى دائرة اهتمام الرئيس فى محاولة من رئيس ديوان رئيس الجمهورية وبالطبع من وراءه الرئيس وجماعته لشق الصف فى المؤسسة العسكرية إلا أن مالم يعلمه هؤلاء أن القوات المسلحة مؤسسة قوية متماسكة ومترابطة والدليل على ذلك أن كل القادة الذين تلقوا اتصالات من ديوان الرئاسة سارعوا إلى الاتصال بالفريق أول عبد الفتاح السيسى قائدهم وأبلغوه بما تم فى هذه الاتصالات بالتفاصيل ليتم إحباط مؤامرة الجماعة على المؤسسة العسكرية بصفة عامة وعلى السيسى بصفة خاصة وقد سارع السيسى إلى الرد بقوة وحسم عن طريق المتحدث العسكرى باسم القوات المسلحة

وعن طريق مصادر عسكرية لم تذكر اسمها للتأكيد على أن القوات المسلحة تدرك مثل هذه المحاولات البائسة وأنها ترفض أن يقوم رئيس ديوان الجمهورية بإجراء اتصالات مع قادة الجيش وأنها لن تصمت على مثل هذه المحاولات.

إذن فقد كشـرت المؤسسة العسـكرية وقائدها عبد الفتاح السيسـى عن أنيابها محذرة من يقترب من عرينها ومهددة بالرد القاسـى غير المتوقع ما اضطرت معه الجماعة ورئيس الجمهورية إلى التراجع سريعا عن مثل هذه الاتصالات والمحاولات.

وقد أشـارت كل الدلائل والمؤشـرات إلى أن الرئيس محمد مرسى كان على شفا إعلان تغيير وزير الدفاع وتعيين غيره إلا أن عوامل كثيرة أدت إلى تراجعه عن ذلك فى اللحظات الأخيرة مرجئاً تنفيذه إلى وقت أكثر ملاءمة لم يكن ليتأخر كثيراً ليكرر محمد مرسى ما فعله مع طنطاوى وعنان لكن الرياح أتت بما لم تشته أو تتوقع سفينة الإخوان المسلمين وتغدى السيسى بمرسى وجماعته قبل أن يتعشوا هم به.

وبقراءة متعمقة للموقف والقرار التاريخى الذى اتخذه الفريق السيسى بالانحياز للشعب وإسـقاط حكم الإخوان المسلمين وعزل الرئيس محمد مرسى يتبين لنا أن هذا القرار لم يكن متعجلاً ودون دراسة مستفيضة وشاملة وبعد تأن وترو وأنه كذلك لم يكن هو الخيار الوحيد أو الأول أمام السيسـى برغم أنه كان موجوداً بقوة فى ذهنه حيث إن السيسـى لم يدخر جهداً فى إرجاع الإخوان المسـلمين أو محمد مرسـى عن مخططاتهم ولم يبخل عليهم فى بذل النصح والإرشاد لكنهم كانوا قد صموا آذانهم وعموا أعينهم عن كل شىء اللهم إلا تنفيذ مخططاتهم على مصر وتحويلها إلى مجرد ولاية فى دولة الخلافة التى كانوا يحلمون بها.

وقـد كشـف الفريـق أول عبد الفتاح السيسـى بعد ٣٠ يونيو و٣ يوليـو عن الكثير من المفاجآت والأسـرار والجهود التى قام بها والتقديرات الاسـتراتيجية التى تولتها القوات المسلحة عن خطورة الأوضاع الداخلية والسيناريوهات الخطيرة التى كانت تحوم فى المشهد بسـبب ممارسات وسياسـات الإخوان المسـلمين وقرارات الرئيس محمد مرسى وبرغم كل هذه التقديرات الاسـتراتيجية فإن مرسـى لم يعرها أى اهتمام كما أنه أحبط كل محاولات وتحركات السيسـى للتقرب بين مختلف القوى السياسـية والدعوات التى أطلقها للحوار مع التيارات والقوى والأحزاب السياسـية المعارضة والغاضبة من هيمنة وسـيطرة الإخوان على كل مفاصل الدولة وتهميش القوى الأخرى وحكى السيسـى أنه برغم موافقة الرئيس

على دعوة السيسى للقوى السياسية للحوار للخروج من الأزمة التى تمر بها مصر فإنه تلقى اتصالاً فى اللحظات الأخيرة من الرئاسة تطالبه فيه بالتراجع عن هذه الفكرة وهو ما دعا القوات المسلحة للإتصال بالشخصيات التى كانت فى طريقها إلى المقر الذى كانت ستتم فيه جلسات هذا الحوار الوطنى.

وأمام تجاهل وعدم الاستجابة لنصائح ومحاولات ودعوات السيسى والمؤسسات العسكرية لرأب الصدع فى العلاقة بين الإخوان والنظام الحاكم من جانب والقوى السياسية والحزبية والشبابية بل والشعب من جانب آخر كان قرار السيسى والمؤسسة العسكرية بالانحياز للشعب والبدء الفورى فى إنهاء الأمر.

وبدون الدخول فى تفاصيل ستكشفها الأيام القادمة فإن السيسى تعاون مع القوى السياسية ومع الحملات المناوئة للإخوان ومرسى وفى مقدمتها حملة "تمرد" التى لم تكن بعيدة عن حضن القوات المسلحة والمخابرات الحربية التى وفرت لها كل السبل والوسائل المساعدة لتحقيق الهدف بعزل محمد مرسى وإسقاط حكم الإخوان المسلمين.

مع التصاعد الخطير فى الأحداث واندفاعها نحو الصدام ووقوفها على شفا الحرب الأهلية كان نداء أو تحذير أو تهديد أو دعوة -سمها ما شئت- السيسى والمهلة التى أعطاها لكل القوى السياسية للتحاور وإنقاذ البلاد من مصير خطير ونفق مظلم لن تخرج منه ومع عدم ورود أى إشارات من الرئاسة والرئيس محمد مرسى أو جماعة الإخوان المسلمين ومكتب الإرشاد جاءت المهلة الثانية والأخيرة وعندما تكرر نفس الموقف جاء القرار الذى دخل به السيسى التاريخ وقبله دخل قلوب المصريين وتربع فيها لا ينازعه أحد فى الشعبية والحب والتأييد ثم جاءت استجابة الشعب الذى خرج بالملايين تلبية لدعوة السيسى ثم الخروج الثانى ومنحه التفويض فى مشهد تاريخى لم تشهده الكرة الأرضية إلا فى مصر المحروسة ومع الفريق السيسى فى أكبر. استفتاء على شعبية الزعيم والبطل الشعبى الجديد الذى أعاد للمصريين ذكريات الزعماء التاريخيين الخالدين وأعاد ضخ دماء الحيوية والحياة فى شرايين المصريين بعد أن تجمدت على يد الإخوان المسلمين ورئيسهم محمد مرسى.

الرجل الخطير

فى حديث تليفزيونى قبل ساعات من إنتخابات الرئاسة.. يكشف السيسى بعض الأوراق الغامضة وإن احتفظ بالكثير منها.. يمكن الإعلان عنها فى الوقت المناسب ويرى

النـاس رجل الجيش بعد أن ارتدى البدلة المدنيـة.. وراح يخاطب الجماهير بعقلية رجل الدولـة.. وقال صراحة الجيش مؤسسـة وطنية تقوم على علـم وانضباط. وهدفها فى المقام الأول حمايـة أمن الوطن داخلياً وخارجياً.. واعترف السيسـى بـأن الإخوان كانوا الأكثر جاهزية للوصول إلى الحكم وقد وصلوا لكنهم لم يكونوا أبداً جاهزين للنجاح.. وقد اختارهم الشعب على عقد الدستور والقانون ولكنهم داسوا على كل شىء.. فقد اعتمدوا على الكذب والشـائعات والتحالفات حتى لو كانت مع الشيطان لأن الغاية عندهم تبرر كل الوسائل.. يقول الجد للحفيد محاولاً رسم صورة القائد من زاوية أخرى وحتى يدرك الحفيد أن الأقوال تتضارب وتختلف حتى على لسان الشخص الواحد من وقت لآخر.. وعلى الإنسان العاقل أن يستخلص النتائج فقد.

وصفـت مجلة "نيوزويك" الأمريكية عبر موقعها الإلكترونى عبد الفتاح السيسـى بأنه "الجنـرال الهـادئ" وذلك فى تقريـر مطول قالت فيه إن مصر صـار لديها "رجلاً قويًا" جديدًا بعد عزل الرئيس السـابق محمد مرسى وإن صوره انتشرت بين أيدى المصريين وفى كل مكان أكثر من الهدايا السياحية التذكارية لـ"أبى الهول".

وأكملت "نيوزويك" حديثها عن السيسـى حيث قالت إن شـخصيته "مبهمة" تماماً مثل نظارته الشمسية الداكنة وكثيراً ما تتم مقارنته بالزعيم ذى الشخصية الكاريزمية جمال عبد الناصر وبرغم ذلك لا يعرف عنه الكثيرون أى شـىء عن خلفيته أو عائلته خاصة أنه نادراً ما يتحدث للصحفيين كما أن أصدقاءه المقربين يترددون فى إجراء أى حوارات عنه.

وفـى بحثها عن أقربائه بـدأت "نيوزويك" من ذلك المتجر فـى خان الخليلى والذى يسـمى "السيسـى" ووجدت أنه نشـأ فى حى الجمالية فى نفس الأزقـة والحوارى بين المسـاجد والتى كتب عنها الأديب المصرى صاحب جائزة نوبل نجيب محفوظ فى ثلاثيته المعروفة: بين القصرين وقصر الشـوق والسـكرية مضيفة أنه نشـأ فى أسرة متدينة كأغلب الأسـر المصرية وفى المتجر التابع للعائلة والذى يديره شـخص يدعى "حسـين على" قال الأخير إنه قد بلغ بعدم الحديث حول السيسـى الذى يعرفه منذ سنوات وأضاف: "لستم فى حاجة لى للحديث عن عبد الفتاح السيسـى وإذا تكلمت عن حسـين خليل السيسـى فأنـا أتكلم عن كل أولاده لأنهم نسـخ منه متابعاً: كان يحـب القراءة فى التاريخ والقانون والاستماع إلى أغانى أم كلثوم القوية والوطنية كما كان يعرف كبار رجال الدين الذين كانوا

زبائنـــه فى متجره وفـــى الوقت ذاته أصدقاءه موضحاً أن والد السيســـى لديه خمس بنات وثلاثة أبناء كلهم ذوو تعليم جامعى.

وأســـهب حسين على فى الحديث حول والد السيسى حيث قال: عبد الفتاح السيسى يشـــبه والده كثيراً حيث كان والده ملهماً للكثيرين من حوله وعندما ينظر إلى عينيك كان يعرف ما تود قوله تماماً كان يعرف كيف يوصل رسائله عندما يتحدث وإذا تحدث لطبيب فإنـــه يتحدث إليه بلغته وعندما يتحدث لعامل بســـيط فإنـــه يتحدث كأنه مثله تماماً وقد أخذ عنه أبناؤه ذلك.

وتابـــع إن كل ابن من أبنائه اتخذ طريقاً يشـــبه أباه فيـــه: "أحد ابنائه عمل بالتجارة مثل أبيه وهو حسن وآخر صار قاضياً وهو أحمد والثالث أصبح قائداً فى الجيش وهو عبد الفتاح السيسى حيث كان حسين السيسى مثل قائد الجيش كل شىء فى موعده وكل شىء بنظام ويقول تامر شـــقيق حســـين على والذى يعمل فى المتجر معه فإن عبد الفتاح السيسى نـــادراً ما يمـــزح بينما والده كان يحب إلقاء الدعابات والنـــكات كان من الممكن أن يجلس عبد الفتاح فى المكان طويلاً دون أن تصدر عنه سوى كلمة واحدة أو كلمتين فقط.

"الجميع بما فى ذلك الأولاد زاروا المتجر حيث تعلم الأب ومارس حرفته الشـــاقة مع عـــدد لا يحصـــى من قطع صغيرة من الصدف يدمجها فى الخشـــب المنحوت بدقة ويخلق قشرة قزحية الألوان من أنماط متشابكة معقدة كلها من صنع عقل الأب" هكذا أضاف تامر وقال" "الأب كانت لديه رؤية صنع نماذج جديدة ولم يكتف برؤية النماذج المعتادة ويصنع مثلها بل كان مجدداً وصبوراً.

وتتبع "نيوزويك" أسرة عبد الفتاح السيسى حيث حاورت شقيقه أحمد السيسى الذى وافق على إجراء الحوار على مضض فقال إن عبد الفتاح السيســـى على العكس من الرئيس الســـابق حســـنى مبارك والذى كان معروفاً هو وأسرته جميعاً لدى المصريين فإن عبد الفتاح السيسى استطاع أن يحمى خصوصية أقاربه فهو لديه أربعة أبناء ثلاثة أولاد وبنت وزوجته ترتدى الحجاب التقليدى وهو ما تقوم به النساء المصريات حالياً بشكل طبيعى على عكس نســـاء الجيل الســـابق وتحدث أحمد عن شـــقيقاته قائلاً الشـــقيقات الخمس وكذلك زوجة السيسى لا يعملن مؤكداً أن "نساءنا لا تعملن يبقين فى المنزل لرعاية الأطفال" مضيفاً أنهم جميعهن فى مهن طموحه حيث إنهم خرجوا من أسرة "تقود ولا تقاد".

وتمضى "نيوزويك" قدماً فى البحث فى تاريخ عبد الفتاح السيسى لتقول إنه "فى ٢٠٠٦ اختير السيسى لحضور الكلية الحربية الأمريكية خلال فترة مشحونة فى الشرق الأوسط وفى الكلية التاريخية فى بنسلفانيا وجد السيسى نفسه فى مواجهة ضباط الجيش الأمريكى الخارجين للتو من حرب العراق التى كانت تفشل وتزداد خسائرها للأمريكيين والعراقيين على حد سواء بينما ينفق الرئيس الأمريكى السابق جورج بوش الابن مليارى ونصف المليار دولار أسبوعياً على تلك الحرب ووفقاً لشريفة زهور الباحثة وإحدى أساتذة السيسى فى الكلية الحربية الأمريكية فإن السيسى كان دائماً على استعداد للنقاش الهادئ وليس العدائى فى الوقت الذى كان يدخل فيه الجنود الأمريكيون فى نقاش حاد وساخن مع نظرائهم العرب مضيفة أنه كان يمكن أن يغضب لكنه كان يعرف كيف يتحكم فى نفسه ويختار عدم الرد فى الوقت الذى يقوم الآخرون فيه بذلك فيكن هادئاً لأنه أكثر تأملاً وانتظاراً ومشاهدة.

١١ صفحة

وتكمل شريفة زهور أن السيسى آنذاك قدم ورقة بحثية من ١١ صفحة بعنوان "الديمقراطية فى الشرق الأوسط" ففى الوقت الذى يؤمن فيه الأمريكيون بالحياة والحرية والسعى لتحقيق السعادة "فإن الثقافة الإسلامية تتمسك بمبادئ العدالة والإنصاف والمساواة والوحدة والإحسان" وبينما ينظر الأمريكيون إلى الآباء المؤسسين لدولتهم فإن المسلمين يعتزون بذكريات دولة الخلافة القديمة وهذا لا يعنى قيام دولة ثيوقراطية ولكن دولة ديمقراطية بمفاهيم إسلامية وكان هذا ما كتبه السيسى فى ورقته البحثية وأضافت زهور أنه "يعرف الكثير عن التراث المصرى والإسلامى ويفخر به" متابعة أنه "ربما ليس من المستغرب الآن أن هذا القائد الفخور أمريكى التدريب لا يحتاج أو يحب أمريكا ويجعل ذلك واضحاً فمنذ عزل مرسى وجد السيسى أن أمراء الخليج أكثر سخاء من الولايات المتحدة حيث ضخت المليارات من الدولارات فى صورة مساعدات من المملكة العربية السعودية والإمارات، الذين لديهم أجندتهم الخاصة فى مصر وفى رأى السيسى الخاص فإن مصر حصلت على القليل من الدعم من الولايات المتحدة عندما تحول مرسى والإخوان إلى الاستبدادية وتخريب الإدارة الشعبية كما قال بصراحة فى حواره الأخير مع واشنطن بوست فى رسالة واضحة إلى البيت الأبيض والبنتاجون ووزارة الخارجية الأمريكية وربما أصدقائه القدامى فى الجيش الأمريكى مؤكداً أن مصر تقود ولا تقاد.

وعـادت "نيوزويك" لتكمل الحكاية لتقول إنه بعد إقالة طنطاوى وجد المصريون وجهاً أصغر وأقل شـهرة فى موقعه وهو عبد الفتاح السيسى الذى كان مديراً للمخابرات الحربية والذى تقدم للكاميرات ليدافع عن الاتهامات التى وجهت للجيش فى الفترة الانتقالية فيما يعرف بقضية كشوف العذرية، مؤكدة أنه وفقاً لعدد من المصادر المطلعة فإن طنطاوى هو من اختار السيسـى خلفاً له. السيسـى الآن يثبت أنه من الممكن أن يكون له دورا على المشهد السياسـى المصـرى الجديد متابعة أنه فى الوقت الذى انتقلـت فيه البلاد نحو انتخابات ٢٠١٢ أصبح من الواضح بشـكل متزايد أن جماعة الإخوان المسـلمين لديها عملية سياسية أفضل وهى من ستفوز بالرئاسة وحينها أدرك رجال الأعمال النفعين وكذلك ضباط الجيش أنهم مضطرون للجوء إلى التفاوض مع أعدائهم السـابقين حول كيفية تأثير انتصار الإخوان فى الجيش مشيرة إلى أن مرسى كان ممثل الإخوان فى تلك المحادثات فيما تكلم السيسى نيابة عن الضباط.

وتابعت "نيوزويك" أنه بعد انتخاب مرسى فى صيف ٢٠١٢ بدأ فى تغيير ديناصورات الجيـش القدامى وما أثار العجب هو عدم مقاومة القيادة العليا لقراراته دون أن يدركوا أنه كان تغييراً فى الأجيال أو ثورة داخل المؤسسـة العسكرية نفسها بقيادة السيسى الذى عينه مرسى وزيراً للدفاع ظناً منه على ما يبدو أنه لا هو ولا غيره من القادة الجدد للجيش سوف ينقلبون عليه إنه يحترم امتيازاتهم الإقتصادية وأياً كانت أهدافه الأصلية فإن السيسى بدأ يناور للوصول لمنصب أكثر طموحاً بكثير وذلك فى الوقت الذى بدأ فيه مرسى يحصل على المزيـد من السـلطات الديكتاتورية ويعمل على إقصاء معارضيه ويحصن نفسـه ضد أحكام القضاء ما أدى إلى اندلاع أعمال شغب دموية وبدا أن البلاد تذهب مرة أخرى نحو الفوضى.

❑❑❑